



وحوش الشعر

"قَدْ سُرَّ فِيهَا الْأَوْلِيَاءُ إِذِ التَّقَوَّا *** بِفَنَاءِ مِنْبَرِهَا الْجَدِيدِ فَجَمَّعُوا" الْبُحْتَرِي

ملف وحوش الشعر ٢٣٣

محتويات الملف

١	محتويات الملف
٢	مصادر النصوص
٣	شوق إليك
٨	أتعرف رسمًا
١٤	قالت: حُبِسْتَ!
١٩	علوُّ في الحياة وفي الممات
٢٣	لو كُنْتُ من مازنٍ
٢٥	مراجع شروح القصائد

مصادر النصوص

في إثباتنا لنصوص القصائد كنا نسعى لاختيار أفضل رواية موجودة وتنوعت أسباب الاختيار ولكنها تدور غالبا على موثوقية المصدر وجودة تحقيق الديوان أو على الرواية الأشهر إذا لم يكن هناك فرق كبير في الروايات. وإليك جدول المصادر المعتمدة:

القصيدة	المصدر الذي أُخذ منه النص	سبب الاختيار
شوق إليك	ديوان البحري بتحقيق حسن كامل الصيرفي طبعة دار المعارف	أفضل تحقيق لديوان البحري
أُتعرّف رسماً	جمهرة أشعار العرب تحقيق محمد علي الهاشمي	أفضل تحقيق لجمهرة أشعار العرب، وترتيب الأبيات في الجمهرة تميز بالترابط في بعض المواضع بشكل أفضل من الرواية في ديوان الشاعر
قالت: حُبست!	ديوان علي بن الجهم تحقيق خليل مردم بك	أفضل تحقيق لديوان علي بن الجهم
علو في الحياة وفي الممات	جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد الهاشمي	ليس لشاعرها ديوان، ورواية جواهر الأدب هي المشهورة المتداولة. ومن باب الإنصاف فربما تكون أدق رواية للقصيدة هي التي جاءت في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي. ولكن الفرق بين الروايتين كلمات قليلة
لو كنت من مازن	الحماسة لأبي تمام. تحقيق عبدالله عسيان	أفضل تحقيق لحماسة أبي تمام

للاستماع



شوق إليك

توطئة عن الشاعر:

شاعر هذه القصيدة أبو عبادة البُحْثري من أشهر وأشعر شعراء العربية في العصر العباسي وقد تكاثرت المقالات التي تدلل على علو كعبه وحسن شعره وقد قال أبو القاسم الإسكافي: "استظهاري على البلاغة بثلاثة: القرآن، وكلام الجاحظ، وشعر البُحْثري".

ومما جاء في وصف شعره وحسن اختياره للألفاظ وجمعه للألفاظ المتجانسة في البيت الواحد: "فأوتي ديباجة رائقة، قلما ظفر شاعر بمثلها حتى ضرب المثل بها فقليل ديباجة بحترية، وشبه شعره لأجلها بسلاسل الذهب؛ لتناسقه، وتماسكه، ورونقه، وحسن انسجامه" وذكر الأُمدي في موازنته أن أبا عبادة قد أسقط في أيامه أكثر من خمسمائة شاعر وذهب بخبرهم، وانفرد بأخذ جوائز الخلفاء دونهم.

قال أبو عبادة البحراني في مدح الخليفة العباسي المتوكل ووصف مدينة المتوكلية: (بحر الكامل)

- ١ شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَدْمُعُ وَجَوَى عَلَىكَ تَضِيقٌ مِنْهُ الْأَضْلُعُ^١
- ٢ وَهَوًى تُجَدِّدُهُ اللَّيَالِي كُلَّمَا قَدُمْتُ وَتَرْجِعُهُ السَّنُونَ فَيَرْجِعُ^٢
- ٣ إِنِّي وَمَا قَصَدَ الْحَجِيجُ وَدُونَهُمْ خَرَقٌ تُحِبُّ بِهِ الرِّكَابُ وَتُوضِعُ^٣
- ٤ أَصْفِيكَ أَقْصَى الْوُدِّ غَيْرَ مُقَلَّلٍ إِنْ كَانَ أَقْصَى الْوُدِّ عِنْدَكَ يَنْفَعُ
- ٥ وَأَرَاكَ أَحْسَنَ مَنْ أَرَاهُ وَإِنْ بَدَا مِنْكَ الصُّدُودُ وَبَانَ وَصْلُكَ أَجْمَعُ
- ٦ يَعْتَاذُنِي طَرَبِي إِلَيْكَ فَيَعْتَلِي وَجَدِي وَيَدْعُونِي هَوَاكِ فَاتَّبِعْ^٤
- ٧ كَلِّفْ^٥ مُجَبِّبِكَ مُوَلِّعٌ وَيُسْرُنِي أَنِّي امْرُؤٌ كَلِّفَ مُجَبِّبِكَ مُوَلِّعٌ

^١ الجَوَى: شِدَّةُ الْعِشْقِ أَوْ الْحُزْنُ وَالْحَرَقَةُ الَّتِي تَتَرْتَبُ عَلَى شِدَّةِ الْعِشْقِ. يَصِفُ الشَّاعِرُ شِدَّةَ اشْتِيَاقِهِ لِمَحْبُوبَتِهِ وَحُزْنَهِ عَلَى بَعْدِهَا فَيَقُولُ أَنَّ الشُّوقَ وَالْحُزْنَ بُلْغًا فَوْقَ طَاقَتِهِ فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَضَاقَ صَدْرُهُ عَنْ تَحْمِلِ حُزْنِهِ.

^٢ يَبِينُ الشَّاعِرُ عُمُقَ مَحَبَّتِهِ وَأَنَّهَا تَتَخَطَّى مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ مِنْ أَنَّ الْهَوَى وَالْمَحَبَّةَ تَقِلُّ مَعَ مَرُورِ الزَّمَنِ وَيَنْسَاهَا الْإِنْسَانُ، فَيَقُولُ أَنَّ مَحَبَّتَهُ تَتَجَدَّدُ مَعَ مَرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَزْمَانِ.

^٣ الْحَرَقُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ. تُحَبُّ: وَصَفَ لِمَشْيِ الدَّابَّةِ الْبَطِيئِ وَهُوَ أَنْ تَقِفَ مَرَّةً عَلَى إِحْدَى قَدَمَيْهَا وَمَرَّةً عَلَى الْأُخْرَى. تُوضِعُ: الْإِضْطَاعُ إِسْرَاعَ الدَّابَّةِ فِي مَشْيِهَا. يَحْلِفُ الشَّاعِرُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِي يَقْصِدُهُ الْحَجِيجُ ثُمَّ يَصِفُ حَالَهُ بِأَنَّهُ فِي بَلَدٍ بَعِيدٍ عَنْ هَؤُلَاءِ الْحَجِيجِ يَعُوقُهُ عَنِ الْوَصُولِ لَهُمْ أَرْضٌ شَاسِعَةٌ تَأْخُذُ الدَّوَابَّ زَمَنًا لَتَقْطَعُهَا بِالْمَشْيِ الْبَطِيءِ وَالسَّرِيعِ.

^٤ بَدَا: أَيُ ظَهَرَ. بَانَ الْوَصْلُ: أَيُ انْقَطَعَ وَابْتَعَدَ الْبَيْنُ الْبَعْدُ.

^٥ طَرِبَ: خَفَّ وَاهْتَرَّ مِنْ فَرَحٍ وَسُرُورٍ، أَوْ مِنْ حُزْنٍ وَغَمٍّ وَهِيَ هُنَا عَلَى الْمَعْنَى الْأُولَى. يَغْتَلِي: أَيُ يَتَجَاوَزُ الْحَدَّ وَيَزِيدُ وَهِيَ مَأْخُذَةٌ مِنَ الْغُلُوِّ الْوَجْدِ: هُوَ الْحُبُّ وَتَأْتِي بِمَعْنَى الْحُزْنِ. يَقُولُ الشَّاعِرُ أَنَّ فَرَحَهُ بِمَحْبُوبَتِهِ يَعُودُ إِلَيْهِ الْفِينَةِ بَعْدَ الْأُخْرَى فَيَزْدَادُ حُبًّا لَهَا وَتَدْعُوهُ مَحَبَّتُهُ لَهَا إِلَى اتِّبَاعِهَا وَالْإِنْقِيَادِ لَهَا فَيَسْتَجِيبُ لِذَلِكَ الدَّاعِي وَيَنْقَادُ.

^٦ كَلِّفَ بِالْأَمْرِ: أَحَبَّهُ بِشِدَّةٍ وَمِنْهُ مَقُولَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا يَكُونُ حُبُّكَ كَلْفًا وَلَا بَغْضُكَ تَلْفًا"

- ٨ شَرَفًا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ أَبَاكُمْ
 ٩ إِنَّ الْفَضِيلَةَ لِلَّذِي اسْتَسْقَى بِهِ
 ١٠ وَأَرَى الْخِلَافَةَ وَهِيَ أَعْظَمُ رُتَبَةٍ
 ١١ أَعْطَاكُمْوَهَا اللَّهُ عَنْ عِلْمٍ بِكُمْ
 ١٢ مَنْ ذَا يُسَاجِلُكُمْ وَحَوْضُ مُحَمَّدٍ
 ١٣ مَلِكٌ رِضَاهُ رِضَا الْمَلِكِ وَسُخْطُهُ
 ١٤ مُتَكَرِّمٌ مُتَوَرِّعٌ عَنْ كُلِّ مَا
 عَمُّ التَّبِيِّ وَعَيْصُهُ الْمُتَفَرِّعُ
 عَمْرٌ وَشُقْعٌ إِذْ عَدَا يَسْتَشْفَعُ
 حَقًّا لَكُمْ وَوَرَاثَةً مَا تُنَزَعُ
 وَاللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
 بِسِقَايَةِ الْعَبَّاسِ فِيكُمْ يُشْفَعُ
 حَتْفُ الْعِدَى وَرَدَاهُمْ الْمُتَوَقِّعُ
 يَتَجَنَّبُ الْمُتَكَرِّمُ الْمُتَوَرِّعُ

١ العيص: هو منبت الشجرة وأصلها. وعيص الرجل أي: أصله. يقال في المثل: عيصك منك وإن كان أشبًا، أي: أصلك منك وإن كان ذا شوك. يقول الشاعر: فلتشرفوا شرقًا يا بني العباس، فأبوكم (جدكم الأعلى) هو عم النبي ﷺ، وعيصه (شجرته العظيمة) المتفرع، أي: العالي. يقصد أن العباس من أصول النبي ﷺ، والعم من الأصول.

٢ شُقْعٌ إِذْ عَدَا يَسْتَشْفَعُ: أي قُبِلَتْ شفاعته حين شفع لهم ودعا الله أن يغيثهم. وعمر في البيت هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويشير إلى القحط الذي أصاب أهل الرمادة عام ١٧ هـ فقال عمر وقد صعد المنبر ومعه العباس رضي الله عنهما: اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بَعْمَ نَبِيِّكَ وَصَنُوْا أَبِيهِ. وطلب إليه أن يدعو؛ فدعا؛ فسقاهم الله، وأخصبت الأرض.

٣ يقول الشاعر أن الخلافة حق لبني العباس بالوراثة. وكان الشعراء في عهد هارون الرشيد قد استنفدوا هذا المعنى وقرروا أن بني العم أحق بالوراثة من بني البنت؛ أي أن العباسيين، بني العباس عم النبي ﷺ، أولى بالخلافة من العلويين أبناء بنت الرسول ﷺ فاطمة. قال مروان بن أبي حفصة: "أبى يكون وليس ذاك بكائن" لبني البنات وراثة الأعمام، وهذه مساهمة بسيطة من البحري في نفس المعنى، رغم ما قيل من أنه كان يميل شيئًا ما إلى آل البيت.

٤ يساجلكم: أي يباريكم وينافسكم. يقول الشاعر: من الذي ينافسكم في شرفكم ومكانتكم وأنتم ستشربون من حوض النبي محمد ﷺ بشفاعته العباس عم النبي ﷺ لكم وسقايته لكم من الحوض.

٥ يدخل الشاعر إلى مديح الخليفة العباسي المتوكل. ملكٌ رِضَاهُ رِضَا الْمَلِكِ: تحتل معنيين، الأول إشارته إلى تقوى المتوكل وصلاح دينه فيقول أنه يرضى بما يرضي الله فقط. المعنى الثاني: أن رضا المتوكل عنك يؤدي إلى رضا الله عنك لأن طاعة ولي الأمر من طاعة الله. وسخطه حنف العدى ورداهم المتوقع: وسخط المتوكل على عدوه هو كالحكم عليه بالهلاك والموت. يشير الشاعر إلى سطوة المتوكل وشدة بأسه وقوة سلطانه، فمن سخط عليه فلا يُتَوَقَّعُ إلا هلاكه.

٦ الْمُتَوَرِّعُ: التقي العفيف المبتعد عن الإثم. يقول أن المتوكل: يتنزه وترفّع عن جميع الأثام والنقائص التي يتركها الأتقياء حفظًا لسلامة دينهم ومرؤتهم.

- ١٥ يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي سَقَتِ الْوَرَى
 مِنْ رَاحَتِيهِ غَمَامَةٌ مَا تُقْلِعُ^١
 ١٦ يَهْنِيكَ فِي الْمُتَوَكِّلِيَّةِ أَنَّهَا
 حَسَنَ الْمَصِيفُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْبَعُ^٢
 ١٧ فَيَحَاءُ مُشْرِقَةً يَرِقُّ نَسِيمُهَا
 مَيْتٌ تُدَرِّجُهُ الرِّيحُ وَأَجْرَعُ^٣
 ١٨ وَفَسِيحَةُ الْأَكْنَفِ ضَاعَفَ حُسْنَهَا
 بَرُّهَا مُفْضًا وَبَحْرٌ مُتَرَعُ^٤
 ١٩ قَدْ سَرَّ فِيهَا الْأَوْلِيَاءُ إِذِ التَّقَوُا
 بِفَنَاءٍ مِنْبَرِهَا الْجَدِيدِ فَجَمَّعُوا^٥

^١ الوري: الناس. راحتيك: مثنى راحة ويقصد راحة اليد: وهي باطنها الذي تغلق عليه الأصابع. غمامة: سحابة. تُقْلِعُ: تبتعد، وهنا يريد أن السحابة لا تزول ولا تتوقف عن إنزال المطر. يشبه الشاعر عطايا المتوكل والأموال التي يعطيها بيديه لرعيته بالسحابة الدائمة التي لا تزول وتسقي الناس. ويقول أن منشأ هذه السحابة هو من يديه لأن اليد هي من تبذل المال. وهذا في مدح كرم المتوكل.

^٢ المتوكِّلِيَّة: مدينة بناها المتوكل بالعراق شمال سامراء، وبنى فيها قصرًا وسماه الجعفري. وبها قتل في شوال ٢٤٧ هـ؛ فانتقل الناس عنها وخربت. ولا يزال بعض آثارها قائمًا بالعراق إلى يوم الناس هذا. المصيف والمربع: هما المكانان اللذان يقيم بهما الناس في الصيف والربيع في الأصل وثم أصبح المربع وصفًا يطلق على المكان روته الأمطار وأُنبت الخضرة لتزامن ذلك مع وقت الربيع. يصف البحري المدينة المتوكلية ويقول أن من النعيم فيها جمال جوها في الصيف وحسن الأماكن بها واخضرارها.

^٣ فيحاء: واسعة. مَيْتٌ: هو جمع مَيْتَاء، وهي الأرض اللينة السهلة من غير رمل. الأجرع: الأرض المستوية من الرمل أو الحصباء لا تُنبِت شيئًا. يصف البحري المتوكلية بِسَعَتِهَا وبهاءها ورقة هوائها وأنه يسر الأئدة ويقول أن الأرض فيها متنوعة ما بين أراض معشبة وأراض رملية مستوية (لعله يقصد الشواطئ التي تجاور دجلة والقنوات المائية المارة بهذه المدينة والله أعلم).

^٤ الأكناف: جمع كَنَف، وهو الجانب وكذلك هو الظل ولعل الثاني هو المقصود هنا. ويصير قوله فسيحة الأكناف بمعنى كثيرة الظلال. مُفْضًى: مأخوذة من فضا يفضو. والمكان الفاضي أي الذي ليس فيه أحد والبلد المُفْضِي: أي العراء الذي ليس فيه شيء كالصحراء. أو البراري الخالية. مُتَرَعُ: أي ممتلئ. يقول أن المتوكلية مطلة على بركة حسنة المنظر وعلى بحر ممتلئ ويقصد بالبحر نهر دجلة. والبحر يطلق في لغة العرب على الماء الكثير الواسع الممتد، ملحاً كان أو عذباً، وقد ورد إطلاق البحر على الماء العذب في بعض أشعار العرب، ثم غلب على الماء المالح حتى قل إطلاقه على الماء العذب.

^٥ الأولياء: يقصد بها الشاعر أبناء المتوكل الثلاثة الذين عقد لهم ولاية العهد. جَمَّعُوا: شهدوا فريضة الجماعة. يشير الشاعر هنا إلى الجامع الذي بناه المتوكل، فقد قال باقوت الحموي في الكلام على سامراً (بتصرف): ثم ولي المتوكل فأقام بالهاروني، وبنى أبنية كثيرة، وأسكن الناس في سر من رأى في المكان الذي كان قد احتجره المعتصم؛ واتسع الناس بذلك، وبنى مسجدًا جامعًا فأعظم النفقة عليه، وأمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر إليها من فراسخ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول. انتهى كلامه. وبعد الجامع والمنارة التي بناها المتوكل من أشهر المعالم التاريخية بالعراق ولا يزال قائمًا إلى يوم الناس هذا ويعرف اليوم بجامع أبي دُلف وهو شمال سامراء.

- ٢٠ فَارْفَعِ بِدَارِ الضَّرْبِ بَاقِي ذِكْرِهَا
 ٢١ هَلْ يَجْلُبَنَّ إِلَيَّ عَطْفَكَ مَوْقِفٌ
 ٢٢ مَا زَالَ لِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ مَوْتِلٌ
 ٢٣ فَعَلَامَ أَنْكَرْتَ الصَّدِيقَ وَأَقْبَلْتَ
 ٢٤ وَأَقَامَ يَطْمَعُ فِي تَهْضُمِ جَانِبِي
 ٢٥ إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ
- إِنَّ الرَفِيعَ مَحَلَّةً مَنْ تَرَفَعُ^١
 ثَبَّتْ لَدَيْكَ أَقْوَلُ فِيهِ وَتَسْمَعُ^٢
 آوِي إِلَيْهِ مِنَ الْخُطُوبِ وَمَفْزَعُ^٣
 نَحْوِي رِكَابُ الْكَاشِحِينَ تَطْلَعُ^٤
 مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ فِيهِ يَطْمَعُ^٥
 أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَعَفْوُكَ أَوْسَعُ^٦

^١ دار الضَّرب: دار لسك النقود. المَحَلَّة: هي المدينة أو القرية. يقترح البحري على المتوكل أن يُخَلِّدَ ذكر المدينة المتوكلية بنقش شيء يدل عليها في النقود والعملية العباسية ويخاطب المتوكل فيقول أن تحديد مكانة المدينة ومنزلتها أنت من بيدك تحديدها.

^٢ موقف ثَبَّتْ: أي موقف يسود فيه العقل والرزانة وتتجاهل فيه أقوال الوشاة وتثق بي فيه لتسمع مني حجتِي. ولفظة "ثَبَّتْ" هي وصف يطلق في العادة على الرجال فالموقف ليس عاقلاً حتى يوصف بالرزانة والحزم ولكن الأشخاص هم من يتصفون بتلك الصفات في ذلك الموقف فيسمى موقفاً ثباتاً. وهذا من المجاز العقلي؛ من أمثلة المجاز العقلي قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]. والعيشة لا تَرْضَى وإنما يُرَضَى عنها. البحري في هذا البيت يستعمل أسلوب التمني ولكنه في الحقيقة يطلب - بشكل غير مباشر - من الخليفة أن يستمع إليه بإنصاف.

^٣ موئل: ملجأ والمفزع: المكان الذي يفزع إليه الإنسان في الشدائد. يقول: ما زال لي من رضاك السابق عني ملجأً أُلجأُ إليه من تغْيُرِكَ علي ومن تحريض الشامتين لك لتبعدني، وأُلجأُ إليه في جميع الأمور العظيمة التي تصيبني.

^٤ الكاشحين: هم من يضمرون العداوة ويخفونها. يقول البحري للخليفة: أي زلة هذه التي فعلتها حتى استحققت منك هذه الجفوة ونسيان الصداقة السابقة، وجاءتني وفود الكارهين المبغضين لي يتطلعون إلي بشماتة.

^٥ يقول البحري: وأقام (أي وصار) يطمع في انتقاص حقي من لم يكن يجزئ على ذلك وأنت عني راضٍ.

^٦ إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ: أي إذا لم يكن لي ذنب.

للاستماع



أُتعرِف رَسْمًا

توطئة عن الشاعر والقصيدة:

الشاعر: قيس بن الخطيم، وهو شاعر جاهلي من الأوس ويكنى أبا يزيد، أما الخطيم فلقَّب به أبوه لضربة أصابت أنفه فحطمته، عاش قيس في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يسلم، وجاء في واحدة من الروايات، أنه وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة، ولما عرض عليه الإسلام، أجَّل إسلامه إلى حين هجرة النبي إلى المدينة، إلا أنه قتل قبل ذلك على يد الخزرج. تزوج من حواء بنت يزيد ابن كرز التي أسلمت قبل الهجرة، فصَدَّها قيس عن ذلك وآذاها مدَّةً، وكان النبي يسأل عن الأنصار وهو بمكة فعلم بإيذائه لها فطلبه في ترك ذلك فامتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم تقديرًا له.

مناسبة القصيدة وموضوعها ومنزلتها: هذه قصيدة عالية في الحماسة والفخر قالها قيس في حرب حاطب. وسببها أن حاطبًا، وهو سيِّد من الأوس، أجار رجلًا من بني ثعلبة بن سعد. فخرج الضيف يومًا إلى سوق بني قينقاع، فحرض رجل من بني الحارث بن الخزرج، رجلًا يهوديًا عليه فكسعه فصرخ الضيف: يا جاره كُسيحت. فأقبل حاطب مُغضبًا فقتل اليهودي. ثم علم أن الخزرجي أمر بذلك فعمد إلى الخزرجي فقتله أيضًا. وبلغ ذلك بني الحارث فأسرعوا فقتلوا حاطبًا. وانبعثت الحرب بين الأوس والخزرج، والتقوا بالردم بن بطحان - وهو وادٍ بالمدينة - فاقتتلوا قتالًا شديدًا. وكان ذلك اليوم على الأوس. ذكر الشاعر في هذه القصيدة كذلك يوم بُعث وهو أحد المعارك بين الأوس والخزرج.

قال قيس بن الخطيم:

(بحر الطويل)

لِعُمْرَةٍ عَافٍ غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاكِبٍ^١
 تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرَّاكِبِ^٢
 بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنْتُ بِحَاجِبٍ^٣
 وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءَ ذَاتِ ذَوَائِبٍ^٤
 وَلَا جَارَةَ وَلَا حَلِيلَةَ صَاحِبٍ^٥
 فَلَمَّا أَبَوْا سَاحَتْ فِي حَرْبٍ حَاطِبٍ^٦
 فَلَمَّا أَبَوْا أَشْعَلَتْهَا كُلَّ جَانِبٍ
 عَلَى الدَّفْعِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَقَارِبٍ^٧
 لَيْسْتُ مَعَ الْبُرْدَيْنِ ثَوْبَ الْمُحَارِبِ^٨

١ أُتَعَرِفُ رَسْمًا كَالطَّرَازِ الْمُدَّهَبِ
 ٢ دِيَارُ الَّتِي كَادَتْ - وَنَحْنُ عَلَى مَنَى -
 ٣ تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ عِمَامَةٍ
 ٤ وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مَنَى
 ٥ وَمِثْلِكَ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيْسْتُ بِكَنَّةٍ
 ٦ دَعَوْتُ بَنِي عَوْفٍ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ
 ٧ وَكُنْتُ امْرَأً لَا أَبْعَثُ الْحَرْبَ ظَالِمًا
 ٨ أَرَبْتُ بِدَفْعِ الْحَرْبِ حَتَّى رَأَيْتُهَا
 ٩ فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ حَرْبًا تَجَرَّدَتْ

^١ الطراز: الثوب المطرز، والمُدَّهَب: منسوج بالذهب، وعمرة هي ابنة رواحة أخت عبد الله بن رواحة، وعاف: زائل. يسأل من يخاطبه هل تعرف هذه الديار لعمرة التي تبدو كالثوب المطرز الموشى بالذهب فإنها صارت دارسة زائلة لا تكاد تعرف ما عدا موقفا لراكب واحد يمر بالمكان - يعني نفسه -.

^٢ كادت تحل بنا: يعني كادت تحملنا على الحلول والمكوث عندها، والنجاء: سرعة السير. يعني أن عمرة كادت أن تغريهم بالمكث عندها في منى، ومنعهم من ذلك تفرق الحجاج بعد قضاء حجه.

^٣ ضنت: بخلت. قال تعالى: {وما هو على الغيب بضنين} ببخيل.

^٤ الذوائب: الضفائر، يريد أنها كانت صغيرة عندما رآها.

^٥ ومثلك: رُبَّ مثلك، يراد بها الكثير، أصببت: فتنت.

^٦ نصحت لبني عوف - وهم من الخزرج - أن يكفوا شرهم، فلما أبوا لم أبال بهم وأذنت بإشعال حرب حاطب المتقدم ذكرها.

^٧ أَرَبْتُ: بذلت جهدي، يعني أنه حاول ألا تقوم الحرب، ولكنها ما فتئت تقترب.

^٨ تجرَّدت: خلعت رداءها، كناية عن حتميتها وتأكدها. فارتدى هو ثوب المحارب. وفي البيت طباق ظاهر.

- ١٠ مُضَاعَفَةٌ، يَغْشَى الْأَنَامِلَ رَبْعُهَا
 ١١ وَسَاحِحِي مِ الْكَاهِنِينَ وَمَالِكِ
 ١٢ رِجَالٌ مَتَى يُدْعَوْنَ إِلَى الْمَوْتِ يُسْرِعُوا
 ١٣ إِذَا فَرَعُوا مَدُّوا إِلَى الْمَوْتِ فَاجِرًا
 ١٤ تَرَى قِصَدَ الْمُرَّانِ تُلْقَى كَأَنَّهَا
 ١٥ وَمِنَّا الَّذِي آلَى ثَلَاثِينَ حِجَّةً
 ١٦ فَلَمَّا هَبَطْنَا السَّهْلَ قَالَ أَمِيرُنَا:
- كَأَنَّ قَتِيرَهَا عُيُونُ الْجَنَادِبِ^١
 وَتُعَلَّبَةُ الْأَخْيَارِ رَهْطُ الْقُبَاقِبِ^٢
 كَمَشِي الْجَمَالِ الْمُشْعِلَاتِ الْمَصَاعِبِ^٣
 كَمَوْجِ الْأَتِيِّ الْمُزِيدِ الْمُتَرَكَبِ^٤
 تَذَارِيعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوَاطِبِ^٥
 عَنِ الْخَمْرِ حَتَّى زَارَكُمُ بِالْكَتَائِبِ^٦
 حَرَامٌ عَلَيْنَا الْخَمْرُ مَا لَمْ نُضَارِبِ^٧

^١ مضاعفة: ننسج حلقتين حلقتين، وهو وصف للثوب في البيت السابق. يغشى الأنامل ربيعها: يغطي أنامل اليد طول كمها. والقتير: رؤوس مسامير الدرع، شبهها بعيون الجنادب وهي الجراد.

^٢ ساححي: تابعني على رأيي ووافقي عليه المذكورون، والقباقب: الجمل الفحل، ذكرها مدحا لهم.

^٣ شبه إسرعهم إلى الموت بإسراع الجمال المشعلات: المفترقات، المصاعب: الجمال اللاتي لم يروضن ولم يذلن. كناية عن بسالتهم وشجاعتهم.

^٤ يمدح أصحابه فيخبر عنهم أنهم إذا فزعوا لخطب ألم بهم أعدوا له فاخرا، أي: جيشا يفخرون به على عدوهم وغيره، يسرون بهذا الجيش نحو الموت ولا يبالون، ثم شبه هذا الجيش بموج الأتي، وهو السيل الذي لا يدرى من أين أتى، المزيد: الذي له زبد كزبد البحر من عظمتها، المتراكب: كأن أمواجه يركب بعضها بعضا. فشبه جيشهم بموج البحر المتلاطم ذي الزبد.

^٥ قصد المران: ما تكسر من رماحهم، والمران: الرماح، تذاريع: طولها ذراع، الشاطبة: من تقشر عسيب النخل من النساء. والخرص: قضيب الشجر. شبه كثرة رماحهم التي يأخذونها إلى المعركة بالأغصان اليابسة ذات الطول البالغ ذراعا التي تكشطها النساء لتحضيرها لوقود النار وغيره، ووجه الشبه: كثرتها وعددها.

^٦ آلى: أقسم وحلف، قال تعالى: {للذين يؤلون من نسائهم..}، والحجة: العام. يريد أن جيشهم يحمل بين جانبيه رجالا يبذلون الغالي والنفيس في سبيل مطلوبهم، فمنهم من أقسم على نفسه ألا يشرب الخمر ثلاثين عاما أو حتى يزوركم بكتائب الجيش. و(حتى) هنا للغاية، فغاية قسمه إما ثلاثون عاما أو زيارتكم بالكتائب. وقيل أن الذي أقسم هو: حُضَيْرُ بْنُ سِمَاكِ سَيْدِ الْأَوْسِ يَوْمَ بُعَاثَ.

^٧ فلما سارت كتائبنا متوجهة إلى أرض المعركة قال أميرنا: حرمننا الخمر على أنفسنا حتى نقاتل عدونا وننتصر عليه، وهو في معنى البيت السابق، وفيه زيادة عليه إذ أن المتحدث حرم الخمر على نفسه وعلى من معه، فكان فيه نوع تسلط عليهم، ولو شاء لحرمها على نفسه فقط دونهم.

- ١٧ فَسَاحَحه مِنَّا رِجَالٌ أَعَزُّوْا
 ١٨ رَمَيْنَا بِهَا الْأَظَامَ حَوْلَ مُزَاحِمٍ
 ١٩ لَوْ أَنَّكَ تُثَلِّقِي حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِهَا
 ٢٠ إِذَا مَا فَرَرْنَا كَانَ أَسْوَا فِرَارِنَا
 ٢١ صُدُودَ الْخُدُودِ وَالْقَنَا مُتَشَاجِرٌ
 ٢٢ فَهَلَّا لَدَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ صَبْرُتُمْ
- فَمَا رَجَعُوا حَتَّى أُحِلَّتْ لِشَارِبٍ^١
 قَوَانِسُ أُولَى بَيْضِهَا كَالْكَوَاكِبِ^٢
 تَدَحْرَجُ عَنْ ذِي سَامِهِ الْمُتَقَارِبِ^٣
 صُدُودَ الْخُدُودِ وَازْوَارَ الْمَنَاقِبِ^٤
 وَلَا تَبْرَحُ الْأَقْدَامُ عِنْدَ التَّضَارِبِ^٥
 لَوْ قَعَتْنَا، وَالْبَاسُ صَعْبُ الْمَرَاقِبِ^٦

^١ فكان ردة فعل الجيش أنهم لم يعارضوه ويأبوا عليه هذا اليمين، بل طاعوه واستجابوا له فلم يشربوا الخمر، وكان هذا حادثاً لهم لحوض المعركة بلا تودة، فما رجعوا من المعركة إلا بتحلة الخمر التي حرمها عليهم أميرهم.

^٢ الآطام: الحصون، ومزاحم: حصن عبد الله بن أبي سلول، والقونس: جزء حاد في أعلى خوذة المحارب. والبيضة: هي الخوذة. وشبه قوانس خوذ عدوهم في الحصون في بداية النظر إليها بالكوكب لبياض لونها من بعيد. يقول: رمينا برماحنا - الموصوفة في البيت ١٤ - حصون عدونا، وهذه الحصون يظهر قوانس خوذ أهلها من بعيد كالكواكب.

^٣ الحنظل: الثمر المر المعروف، سام: الذهب، يقول في وصف خوذ أعدائهم وتراصها بجانب بعضها، لو أنك رميت ثمر الحنظل فوق خوذهم لتدحرج عليها وانتقل من خوذة إلى خوذة ولم يسقط على الأرض، وهذه الخوذ مموهة بالذهب كناية عن غناها. و (عن) في البيت بمعنى (على) فإن حروف الجر تتناوب.

^٤ صدود الخد: إدارته وميله، وازوار المنالك: الإعراض به. يصف نفسه وقومه في الحرب بأن أسوأ حال لفرارهم أنهم يشيخون بوجههم ومنكبهم ليتقوا ضرب الأعداء، فهذا عندهم أسوأ الفرار وإن كان لا يسمى فراراً بل اتقاء واحتماء.

^٥ تشاجر القنا: تشابكه كتشابك أغصان الشجر، والقنا: الرماح. يقول أنهم يشيخون بخدودهم - وهذا ما سماه فراراً - أثناء تشابك الرماح، ولكن أقدامهم ثابتة لا تبرح موضعها، فهذا الفرار فقط اتقاء بالوجه وليس فراراً بالقدم كما سيعير خصومه به في الأبيات القادمة.

^٦ فهلا صبرتم في الحرب العوان (التي تتكرر جولاتها ومعاركها) لوقعتنا: أي منازلنا ومقارعتنا؟ تفاخر بنفسه وقومه وحث خصمه على الصبر في الحرب، ولكنه التمس العذر في أن بأس قومه شديد لا يكاد يُصبر عليه فقال: والبأس صعب المراكب. والبأس: الشدة في القتال. قال تعالى: {وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم}

- ٢٣ ضَرَبْنَاكُمْ بِالْبَيْضِ حَتَّى لَأَنْتُمْ
 ٢٤ صَبَحْنَاهُمْ شَهْبَاءَ يَبْرُقُ بَيْضُهَا
 ٢٥ أَتَتْ عُصْبٌ مِ الْأَوْسِ تَخْطُرُ بِالْقَنَا
 ٢٦ أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدَائِقِ حَاسِرًا
 ٢٧ وَيَوْمَ بُعَاثٍ أَسْلَمْتَنَا سَيُوفُنَا
 ٢٨ يُجَرِّدَنَ بَيْضًا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةً
 أَذُلُّ مِنَ السُّقْبَانِ بَيْنَ الْحَلَائِبِ^١
 تُبَيِّنُ خَلَائِلَ النِّسَاءِ الْهَوَارِبِ^٢
 كَمَشِيَ الْأُسُودُ فِي رَشَاشِ الْأَهَاضِبِ^٣
 كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مُحْرَاقٌ لَاعِبٍ^٤
 إِلَى حَسَبٍ فِي جِذْمٍ عَسَانَ ثَاقِبٍ^٥
 وَيُعْمَدَنَ حُمْرًا خَاضِبَاتِ الْمَضَارِبِ^٦

^١ البيض: السيف، يقول ضربناكم بسيوفنا حتى صرتم أوضع وأخنع من السقبان (أولاد الناقة) بين الحلائب (النوق الكبار التي تُحلب).
 يصف حال المعركة فيقول أن قومه قد استطالوا عليهم بالسيف وأثخنوا فيهم حتى صار حال عدوهم كحال أولاد الناقة الصغار التي تتمشى بين النوق الكبار لا حول لها ولا قوة.

^٢ صبحناهم: أتيناهم في الصباح، شهباء: براقعة كالشهب. وقوله: شهباء: نعت منصوب بنزع الخافض، وتقدير الكلام: صبحناهم بكثيرة شهباء. وقوله: (يبرق بيضها) تفسير لشهباء يريد أن خوذهم تبرق لصفاء حديدتها. فهذا المنظر المخيف جعل النساء يهرين بعدو شديد فترتفع أزهرن أثناء العدو فتبين خلاخيلهن. والخلخال: ما تلبسه المرأة من الزينة فوق كعبها أسفل الساق.

^٣ عُصْب: جمع عصاية، وهي: الجماعة، وقوله: مِ الْأَوْسِ، يعني من الأوس، نون ساكنة أتى بعدها لام فأدغمت فيها، كقولك: أشهد ألا إله إلا الله فأدغمت أن في لا، تخطر بالقنا: تشير بالرماح، الرشاش: المطر الخفيف، الأهاضب: اسم من أسماء المطر. يصف مشيهم إلى المعركة وهم حاملون رماحهم كما تتمشى الأسود تحت المطر الخفيف في منظر مهيب.

^٤ يوم الحدائق: يقصد يوم المعركة التي وقعت في مكان يسمى الحديقة بين مكة والمدينة. حاسرا: مكشوف الرأس. محراق لاعب: المخراق: عصا أو عود يلعب بها الصبيان بقتلها، وهي التي قال عنها امرؤ القيس في المعلقة: درير كخذروف الوليد أَمَرُهُ تتابع كفيه بخيط مُوَصَّل. يصف نفسه يوم المعركة بأن السيف كان طوع أمره فيقاتل ويضرب به كما يلعب الطفل الصغير بالخذروف، يشير بذلك إلى مهارته في القتال. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال: هل كان كما ذكر؟ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس بذلك.

^٥ بُعَاث: المعركة المشهورة بين الأوس والخزرج، جذم: أصل، ثاقب: مضيء، يقول أن ما فعلوه يوم بعاث بسيوفهم رفع مكانتهم وحسبهم إلى أصل رفيع مضيء في أصل غسان. وكان يقال: رفعتنا سيوف إلى حسب حي بصير بالحرب.

^٦ يجرذن: أي يزال السيف من غمده، المضارب: جمع مضرب، ومضرب السيف: موضع الضرب منه. يقول: يجرذن سيفنا من غمده ويكون أبيض اللون، فما نفتأ نضرب به في كل معركة حتى نغمده وقد احمر وصبغ مضربه بلون الدم. وفي البيت طباق ظاهر.

- ٢٩ أَطَاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أَمِيرًا نَهَاهُمْ
عَنِ السَّلْمِ حَتَّى كَانَ أَوَّلَ وَاجِبٍ^١
٣٠ قَتَلْنَاهُمْ يَوْمَ الْفِجَارِ، وَقَبْلَهُ
وَيَوْمَ بُعَاثٍ كَانَ يَوْمَ التَّغَالِبِ^٢
٣١ رَضِينَا لِعَوْفٍ أَنْ تَقُولَ نِسَاؤُهُمْ
وَيَهْزَأَنَّ مِنْهُمْ لَيْتَنَّا لَمْ نُحَارِبِ^٣
٣٢ وَلَوْلَا ذُرَى الْأَطَامِ قَدْ تَعْلَمُونَهُ
وَتَرَكْنَا الْفَضَا شُورِكُثْمَ فِي الْكَوَاعِبِ^٤
٣٣ أَصَابَتْ صَرِيحَ الْقَوْمِ عَرُّ سَيُوفِنَا
وَعَادَرْنَا أُنْبَاءَ الْإِمَاءِ الْحَوَاطِبِ^٥
٣٤ قَابُنَا إِلَى أُنْبَائِنَا وَنِسَائِنَا
وَمَا إِنْ تَرَكْنَا فِي بُعَاثٍ بِآيِبِ^٦
٣٥ فَلَيْتَ سُويْدًا رَأَى مَنْ خَرَّ مِنْهُمْ
وَمَنْ فَرَّ إِذْ نَحَدَوْهُمْ كَالْجَلَائِبِ^٧

^١ بنو عوف: عدوهم من الخزرج، يقول أن بني عوف أطاعوا أميرهم الذي لم يرض بالسلم، بل أصر على الحرب فلما حمى الوطيس كان هذا الأمير أول واجب، أي: أول ساقط على جنبه. قال تعالى: {فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها} الآية

^٢ يوم الفجار من أيام حرب حاطب، سمي بذلك لأنه غدر بالغلman فيه، وبعاث حرب أخرى بين الأوس والخزرج، فيعبد في البيت الحروب التي دارت بين القبيلتين. والتغالب: تفاعل بالغلبة بين اثنين فأكثر، يفيد وقوع الغلبة من الفريقين معاً، فوقع من هذا كرة ومن هذا كرة، وهذا فيه نوع إنصاف من الشاعر.

^٣ رضىنا لخصومنا وأعدائنا بني عوف أن تهزأ منهم نساؤهم ويقلن ليتنا لم نتكلف عناء الحرب ولم نتجشم مشقة المعركة لأن رجالنا ليسوا أكفاء لهذا العدو القوي من الأوس، وعادة النساء في الجاهلية أن يكن على العكس من هذا، كما قالت نساء قريش في بدر: إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراقا غير وامق

^٤ ذرى: جمع ذروة، والأفصح في ذال مفردتها الكسر، وفتحها رديء، والآطام: الحصون، والفضا: السهل، والكواعب: النساء اللاتي برز ثديهن ونهدهن، قال تعالى: {وكواعب أترابا}. يقول: لولا فراركم ولودكم بالأماكن العالية من حصونكم وترككم للأماكن المتسعة السهلة في المعركة لشاركناكم في نساءكم.

^٥ صريح القوم: من تحقق انتسابه إلى عدوهم وكان ذا شرف فيهم، غر السيف: حده، الحواطب: النساء اللاتي يحملن الحطب، يقول: أن سيوف قومه لم تقتل إلا الشريف وذا النسب من عدوهم ممن تحققوا من انتسابه إليهم أبا وأما، وأما عبيدهم وإماؤهم وأبناء إمائهم اللاتي يحملن الحطب فلم يقربوهن، لأنهم ليسوا من مقامهم وشرفهم فلا يليق بنا قتلهم أو أذاهم.

^٦ الأوبة والتوبة والنوبة كلها تشترك بمعنى العودة وتختلف من جانب آخر. يقول عدنا نحن إلى أبنائنا ونسائنا ولم نترك في بعاث من عدونا عائداً يعود إلى أهله، يريد أن قومه قد استأصلوا شأفتهم وأبادوهم، ولعلها مبالغة.

^٧ سويداً: سويد بن الصامت الأوسي، من سادات الأوس الذين قتلوا يوم بعاث قبل حرب حاطب، راء: أراد رأى فقلب بين الهمزة والألف، نحدهم: نسوقهم، الجلائب: جمع جلوبة، وهي الجماعة من الخيل والإبل والغنم والناس التي تجلب للبيع. يقول ليت صاحبنا سويدا الذي مات يوم بعاث وأنا ونحن نقتل من قتلنا منهم ومن هرب منهم إذ نسوقهم كالجماعات الكبيرة من الناس والإبل والغنم والخيل يريد إذلالهم.

للاستماع



قالت: حُبست!

توطئة عن الشاعر والقصيدة:

الشاعر: علي بن الجهم ولد سنة ١٨٨ للهجرة في مدينة بغداد، ينحدر الشاعر لأسرة عربية أصلها من قريش، مما أكسبه ذلك فصاحة في اللسان، والموهبة الشعرية والقوة والرزانة. وكان في زمن الدولة العباسية، حيث عاصر فترة حكم المأمون والمعتصم والواثق بالله والمتوكل، وقد ربطته عدة علاقات فكرية مع عدد من رموز العصر كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله والشاعر أبي تمام واشتهر بانتصاره لمذهب أهل الحديث. في أشد الأيام صعوبة على المسلمين. مناسبة القصيدة وموضوعها ومنزلتها:

أمّا عن مناسبة قصيدة “قالت حبست فقلت ليس بضائر” فيروى بأن الخليفة العباسي المتوكل على الله كان قد اتخذ من علي بن الجهم نديمًا له، وكان من أكثر الشعراء جلوسًا معه، وكان الخليفة يخبره بجميع أسرارته، ويجب أن يجلس معه لوحده، وكان كل ذلك سببًا لكي يحسده ندماء الخليفة الآخرون على ما هو به، وكان من بين هؤلاء الندماء البحثري ومروان بن أبي الجنوب - كما يقال - واتفق الاثنان على أن يكيدوا له عند الخليفة.

فدخل الاثنان إلى مجلس الخليفة، وأخبراه بأنهما قد شاهدا علي بن الجهم وهو ينظر إلى نساء القصر، فغضب الخليفة غضبًا شديدًا، وبعث في طلبه، وعندما أتاه، أمره بأن يبقى في بيته، ولا يغادره أبدًا، فانقطع عن القصر، ولكن ندماء الخليفة لم يتوقفوا عند هذا الحد، فعادوا إلى الخليفة، وأخبروه بأن علي بن الجهم يطعن فيه، ويعيب في أخلاقه، فأمر الخليفة بوضعه في السجن، وبينما هو في السجن أنشد قصيدة، وفي هذه القصيدة رفض للذل والاستعطاف.

قال علي بن الجهم:

(بجر الكامل)

- ١ قالت: حُبِسْتُ، فقلتُ: ليس بضائرٍ حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُغَمِّدُ
- ٢ أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلُفُ غِيْلَهُ كِبَرًا، وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرَدَّدُ؟
- ٣ وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مُحْجُوبَةٌ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ^٣
- ٤ وَالْبَدْرُ يَدْرِكُهُ السَّرَارُ فَتَنْجَلِي أَيَّامُهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَدِّدُ
- ٥ وَالْغَيْثُ يَحْصُرُهُ الْغَمَامُ فَمَا يُرَى إِلَّا وَرَيْقُهُ يُرَاحُ وَيَرْعُدُ
- ٦ وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ لَا تُصْطَلِي إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَرْزُدُ^٦
- ٧ وَالزَّاعِبِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا إِلَّا الثَّقَافُ وَجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ^٧

^١ غيرتني أن أصبحت رهين الحبس، ولكن كما أن المهند أو السيف لا عار عليه إذا أدخل في غمد، فكذلك أنا لا يضيرني أن دخلت السجن، وكذلك في معنى تشبيه نفسه بالسيف أن السيف يغمد أحياناً ليستريح ويسل أخرى للقتال.

^٢ الغيل: شجر كثير ملتف وهو موضع الأسود. السبع: كل ذي ناب وظفر، الحيوان المفترس. الأوباش: الأخطا والسفلة. أوباش السباع: السباع الضعيفة والمحترقة مثل بنات آوى والكلاب والجرذان. تردد: تتردد، تروح وتجيء حرة. ومعنى البيت: ولئن صرت نزيل السجن فلا تعجبين من ذلك، فالليث رابض في عرينه؛ استعلاء على أوباش السباع الهائمة في البراري والوديان.

^٣ الفرقدان: نجمان معروفان. والمقصود بالفرقد هنا: النجم مطلقاً. ومعنى البيت: والنجوم لا تظهر إلا عند حجب الليل للشمس. (يشبه نفسه بالشمس المحجوبة، وأعداءه بالفرقد).

^٤ السرار: آخر الشهر القمري، ولا يكون للقمر فيه نور، ومع ذلك فإن ذلك يكون إذا نادى بتجدد القمر. ومعنى البيت: وعندما يعود البدر هلالاً آخر الشهر، فليس معنى هذا أنه سيستمر إلى آخر الدهر هكذا، وإنما سيرجع ليكون بدرًا من جديد.

^٥ وريقه: الريق من كل شيء أوله، ومن المطر الشيء اليسير. يُرَاحُ: يقال راح اليوم يَراحُ ريحاً أي شديد الرياح. ومعنى البيت: والغيث المحصور داخل الغمام يرى يسيراً في أوله، ثم لا يلبث أن يصبح عاصفة وريحاً عاتية.

^٦ تصطلي: اصطلى بالنار إذا باشرها، وقال تعالى {لعلكم تصطلون} أي تستدفئوا بها، ويقال صلى الشيء النار، أو بها، أو فيها، أو عليها القاه فيها. الأزند: مفرد زند، وهو: الحجر أو العود الذي تُقدحُ به النَّارُ وتشتعل. ومعنى البيت: والنار، وهي عنصر ضروري للحياة، لا تنبعث شرارتها من الحجر إلا بعد استثارتها وضربها بالزند.

^٧ الزاعبية: أو الرماح الزاعبية منسوبة إلى رجل من الخزرج اسمه زاعب كان يعمل الأسنة. كعوبها: أي أطراف الرمح. الثقاف: أداة من خشب أو حديد تثقف بها الرماح ليستوي ويعتدل بها الرمح ويقال أن الرمح أصبح مثقفاً. ومعنى البيت: والرماح المستوية لا تصبح

- ٨ غَيْرُ اللَّيَالِي بَادِئَاتٌ غُودٌ
والمال عَارِيَةٌ يُفَادُ وَيَنْفَدُ^١
- ٩ وَلِكُلِّ حَالٍ مُعَقِّبٌ وَلَرُبَّمَا
أَجْلَى لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ^٢
- ١٠ لَا يُؤَيِّسَنَّكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ
خَطَبٌ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَنْكَدُ^٣
- ١١ كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى
فَنَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْعُودُ^٤
- ١٢ صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعَقِّبُ رَاحَةً
وَيَدُ الْخَلِيفَةِ لَا تُطَاوِلُهَا يَدُ^٥
- ١٣ وَالْحَبْسُ مَا لَمْ تَغْشَهُ لِدَنِيَّةٍ
شَنْعَاءَ نِعَمِ الْمَنْزِلِ الْمُتَوَرَّدِ^٦

هكذا، إلا بعد عملية شاقة، حيث يقوم اعوجاجها الثقاف، وتزال عقدتها بالحك والقطع، ويشحذ نصلها بإحمائه في النار المتوقدة، فكذلك السجن والأيام الصعبة تكون ثقافاً لي وتصقلني.

^١ بادئات عود: متقلبة، تذهب بالنعم او المحن ثم ترجعها، فهي لا تثبت على حال. المال عارية: والعارية هي الشيء الذي يستعيره الإنسان أو يعيره لغيره. والمال ظل زائل وعارية مستردة، وإن الذي في يدك قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى من بعدك. ومعنى البيت: ومصائب الأيام ليست مقصورة على أحد، بل تبدأ بواحد وتثني بآخر، والمال الذي يتباهى به كثير من الناس إن هو إلا عارية مستردة، (وقد أخذ الشاعر وصف المال من كلمة أبي طالب حين خطب السيدة خديجة -رضي الله عنها- للنبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: وإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وعارية مسترجعة).

^٢ معقب: يقال أعقب فلان فلاناً فهو معقب: خلفه وجاء بعده. ومعنى البيت: وإن مجيء الليالي بالسراء مرة وبالضراء مرة أخرى سنة ثابتة فإن أتت الضراء فلا تجزع فإن السراء ستأتي بعدها، وربما كان الخير فيما تكرهه من الملمات والمصائب.

^٣ يُؤَيِّسَنَّكَ: يجعلك تياساً. خطب: أمرٌ عظيم أو يسير، يكثر فيه الجدل والتخاطب "أَلَمْ بِهِ خَطَبٌ جَلِيلٌ"، خُطُوبُ الدَّهْرِ / خُطُوبُ الزَّمَنِ: نوازل. الأنكد: كلُّ شيء جرَّ على صاحبه شراً. ومعنى البيت: لا تياأس من تفرج خطب ومصيبة رماك بها هذا الزمن المذموم النكد- وهذا محرم إذ لا يجوز سب الدهر أو الزمن-.

^٤ عليل: مريض. الردى: الهلاك؛ يقال رَدِيَ يَرْدَى، إذا هَلَكَ. العود: زوار المريض. معنى البيت: كم من مريض أشرف على الهلاك، ولكنه أبُل من مرضه، وعوفي من علته، بينما مات قبله الطبيب الذي عالجه، ومن عادته أثناء مرضه. وهو يعني بأن الزمان لا تُعلم حوادثه وتقلباته، وسيخرج من السجن.

^٥ معنى البيت: أي جاء وإحسان وكرم الخليفة جعفر المتوكل لا يستطيعه أحد.

^٦ تغشه: تدخله وتأتاه. الدنيا: هي الأمور المشينة المهينة. معنى البيت: والحبس منزل كريم، وعنوان فخر لنازله، إن كان دخوله بسبب رأي أو عقيدة، لا بسبب فعلة شنيعة.

- ١٤ بَيْتٌ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً
وَيُزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحَفَّدُ^١
- ١٥ لَوْلَمْ يَكُنْ فِي السِّجْنِ إِلَّا أَنَّهُ
لَا يَسْتَذِلُّكَ بِالْحِجَابِ الْأَعْبُدُ^٢
- ١٦ يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ إِنَّمَا
تُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ^٣
- ١٧ بَلَّغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ
خَوْضَ الْعِدَى وَمَخَافُ لا تَنْفَدُ^٤
- ١٨ أَنْتُمْ بَنِي عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أُولَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ^٥
- ١٩ مَا كَانَ مِنْ حَسَنِ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ
طَابَتْ مَغَارِسُكُمْ وَطَابَ الْمَحْتَدُ^٦
- ٢٠ أَمِنْ السَّوِيَّةِ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
خَصَمٌ تُقَرِّبُهُ وَآخِرُ تَبْعِدُ^٧
- ٢١ إِنَّ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِبَاطِلٍ
أَعْدَاءُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْحَدُ

^١ يحفد: يخدم. فهو بيت يحفز الكريم على التمسك برأيه ويجدد له صبره وصموده، ويزوره فيه أصحابه ويكرم فيه.

^٢ الحجاب: هو ما يكون عليه حاجب -أي من يقف على بوابة الأمير- الخليفة. معنى البيت: وللسجن ميزات كثيرة عند الشاعر، ولولم يكن للسجن من فائدة إلا أنه يكفيك شر الحجاب الأعبد -العبيد- وسفاهتهم وغلظتهم حيث يدفعون الناس عن الوصول إلى أولي الأمر، لكانت فائدة عظيمة.

^٣ أحمد بن أبي داود: القاضي الكبير، أبو عبد الله، أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي؛ الجهمي، عدو أحمد بن حنبل. كان داعية إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم (سير أعلام النبلاء). معنى البيت: يطلب شاعرنا مساعدة بن أبي داود لما له من منزلة رفيعة كوزير في الدولة. ولقد هجا ابن الجهم -بعد خروجه من السجن- هذا المبتدع عندما صادر المتوكل جميع أملاكه وماله، وتشمت به أيما شماتة.

^٤ معنى البيت: بلغ رسالتي أمير المؤمنين، ودون وصولي إليه بحر من الأعداء، ومخاوف لا تنتهي.

^٥ معنى البيت: أنتم يا بني عم النبي -أي بني العباس رضي الله عنه- أولى بتحكيم شريعته ومن ضمنها العفو.

^٦ المحتد: الأصل. معنى البيت: قد جمعت خصال الخير، طاب اصلكم الشريف الهاشمي.

^٧ السوية: العدل. خصم تقربه: أي عند التحاكم. معنى البيت: أمن العدل تقريب أحد الخصمين وإبعاد الآخر، وكان القاضي يسوي بين الخصمين ويسمعهما. وخصوم شاعرنا في بلاط الخليفة وجدوا من المتوكل أذناً صاغية، كما ستعلم بعد بيتين.

- ٢٢ شَهِدُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا
 ٢٣ لَوْ يَجْمَعُ الْخُصَمَىٰ عِنْدَكَ مَشْهَدٌ
 ٢٤ فَلَيْنَ بَقِيَتْ عَلَى الزَّمَانِ وَكَانَ لِي
 ٢٥ وَاحْتَجَّ خَصْمِي وَاحْتَجَجْتُ بِحُجَّتِي
 ٢٦ وَاللَّهِ بِالْغُ أَمْرِهِ فِي خَلْقِهِ
 ٢٧ وَلَيْنَ مَضَيْتُ لَقَلَّمَا يَبْقَى الَّذِي
 ٢٨ فَبِأَيِّ ذَنْبٍ أَصَبَحْتَ أَعْرَاضُنَا
 فِينَا وَلَيْسَ كَغَائِبٍ مَن يَشْهَدُ^١
 يَوْمًا لَبَّانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَدُ^٢
 يَوْمًا مِنَ الْمَلِكِ الْخَلِيفَةِ مَقْعَدُ^٣
 لَفَلَجْتُ فِي حُجْجِي وَخَابَ الْأَبْعَدُ^٤
 وَإِلَيْهِ مَصْدَرُنَا غَدًا وَالْمَوْرَدُ^٥
 قَدْ كَادَنِي وَلَيَجْمَعُنَا الْمَوْعِدُ^٦
 نَهْبًا يُشِيرُ بِهِ اللَّئِيمُ الْأَوْغَدُ^٧

^١ معنى البيت: إن الذين وشوا بي عندك كذبا حساد نعمتك علي والتي لا تجحد. شهدوا علي زورا وأنا لست بحاضر حتى أدفع مقالتهم وأدافع عن نفسي.

^٢ الأقصد: الأعدل. مشهد: موقف.

^٣ معنى البيت: لو أتيح لي يوماً مقعد ومكان من الخليفة...

^٤ فلجت: غلبت. ومعنى البيت: وتحاجبنا عندك لهزمتهم وغلبتهم بحجتي وبأن لك كذبهم ومكرهم.

^٥ معنى البيت: إن الله بالغ أمره، منفذ لمشيئته سبحانه، ومنه مصدرنا وإليه موردنا.

^٦ مضيت: مت. ومعنى البيت: ولئن مت فالذي دبر لي مكيدة لن يبقى طويلاً، وسيجمعنا العدل يوم القيامة، وعند الله تجتمع الخصوم.

^٧ يشيد: يُشِيرُ بِهِ. نهبا: غرضاً. ومعنى البيت: فلماذا صارت اعراضنا غرضاً للطعن والتشهير من كل حقيرٍ لئيم.

للاستماع



علو في الحياة وفي الممات

توطئة عن الشاعر والقصيدة:

الشاعر: أبو الحسن بن الأنباري (عاش في القرن الرابع الهجري) واسمه محمد بن عمر بن يعقوب، شاعر مقل، من الكُتّاب. كان أحد العدول ببغداد. وكان صوفيًا واعظًا. اشتهر بقصيدته في رثاء الوزير (ابن بقية) التي أولها: "علو في الحياة وفي الممات". وهو يعد من أصحاب الواحدة الذين انتشر لهم قصيدة واحدة رفعت اسمهم.

مناسبة القصيدة وموضوعها ومنزلتها: تذكر كتب التراث أبا الحسن الانباري كان شاعرا يفد على محمد بن بقية وزير عضد الدولة العباسي ويمدحه وينال عطاءه .. وكان هذا الوزير كريماً جواداً، من أصحاب المروءة وله مكانة كبيرة في قلوب الناس فقد كان يقضى حوائجهم.

وكان ابن بقية وزيراً لعز الدولة الحاكم البويهى على بغداد، وحدث نزاع على حكم بغداد بين عضد الدولة وابن عمه عز الدولة آل إلى حرب كانت نتيجتها الغلبة لعضد الدولة ومقتل عز الدولة، وكان ابن بقية يعرض بعضد الدولة بن بويه سابقاً ويحرض عز الدولة على حربه، فلما ظفر عضد الدولة بابن بقية أمر به فطرح في ساحة أمام قصره واستدعى الفيلة فداسوه حتى الموت، ثم صلبه ببغداد عند نهر دجلة، فسمع الناس بالخبر فساءهم كثيراً وحزنوا وتجمعوا حول جثمانه ولما جاء الشاعر الأنباري لوفادته رآه مصلوباً والناس حوله .. فرثاه بهذه القصيدة وهي من أشهر المراثي وعبود الشعر. قال صلاح الدين الصفدي: لم يسمع في مصلوب أحسن منها.

(بجر الوافر)

قال أبو الحسن الأنباري:

- ١ علو في الحياة وفي الممات
- ٢ كأن الناس حولك حين قاموا
- ٣ كأنتك قائم فيهم خطيباً
- ٤ مددت يديك نحوهم احتفاءً
- ٥ ولما ضاق بطن الأرض عن أن
- ٦ أصاروا الجو قبرك واستعاضوا
- ٧ لعظمتك في الثفوس تبيت ثرى
- لحق أنت إحدى المعجزات^١
- وفود نذاك أيام الصلات^٢
- وكلهم قيام للصلاة^٣
- كمدّهما إليهم بالهبات^٤
- يضم علاك من بعد الوفاة
- عن الأكفان ثوب السافيات^٥
- يُحراس وحفاظ ثقات^٦

^١ في الأبيات الأولى من هذه القصيدة حسن التعليل في كل مشهد من مشاهد الصلب، بل هو حسن تأويل، وقوة خيال. وفي البيت الأول كان المرثي في حياته عاليًا في مكانته واليوم هو عال رفيع المكان في مماته (في صلبه هو معلق بارتفاع على الخشبة)، فهنا معجزة أن يبقى عاليًا حتى بعد موته.

^٢ الندى: العطاء الذي ينفقه الكرماء من مال وغيره. الصلات: جمع صلة ويقصد بها العطايا المالية. كانت الوفود من الناس يقدمون إليك لطلب الندى والعطاء، واليوم فإن الناس الذين تجهمروا لمشاهدتك مصلوباً أراهم وكأنهم هذه الوفود التي تطلب العطايا.

^٣ المصلوب واقف وأمامه الناس يشاهدون المنظر، بينما الشاعر يرى المرثي إماماً خطيباً في صلاة الجمعة، وكأن الناس هؤلاء جاءوا يصلون خلفه. (كان الخليفة أو من ينوب عنه هو الذي يصلي في الناس والميت هنا الوزير)

^٤ اليوم هو مصلوب ويداه ممدودتان يصرف الشاعر هذا المشهد بخياله مجدداً فيقول: هذا المشهد ليس صلباً، وإنما هو مد يديه ترحيباً بالوفود، مثلما كان يمد يديه لتقديم الهبات لهم أيام حياته.

^٥ شرح البيتين الخامس والسادس: السافيات: هي الرياح. المصلوب يرتفع عن الأرض ولا يدفن في التربة يُعجل الشاعر خياله في تفسير هذا المشهد فيقول: السبب في ارتفاعه عن الأرض أن بطن الأرض ضاق عن ضم مكارمه وأفضاله، فصار الجو قبره، أما الكفن فهي ثوب من الرياح، وليس كفنًا عاديًا، وهذا بالطبع لأنه عالي الشأن، مختلف عن الناس.

^٦ المصلوب عليه حراسة خوفًا من إنزاله من قبل أقربائه ومن يههم أمره. يحول الشاعر هذا المشهد بخياله قائلاً: أنت عظيم، وبسبب عظمتك يحرسك ويرعاك حراس ثقات يحفظونك - كما كانوا قبلاً في حياتك يحرسونك.

- ٨ وَتَوْقَدُ حَوْلَكَ النَّيْرَانُ لَيْلًا
كذلك كنت أيام الحياة^١
- ٩ رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلِ زَيْدٍ
علاها في السنين الماضية^٢
- ١٠ وتلك قضية فيها تأس
تُبَاعِدُ عَنْكَ تَعْيِيرَ الْعُدَاةِ^٣
- ١١ وَلَمْ أَرِ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعًا
تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ^٤
- ١٢ أَسَاءَتْ إِلَى النَّوَائِبِ فَاسْتَثَارَتْ
فأنت قَتِيلٌ ثَارَ النَّائِبَاتِ^٥
- ١٣ وَكَنتَ تُجِيرُنَا مِنْ صَرْفِ دَهْرٍ
فَعَادَ مُطَالِبًا لَكَ بِالثَّرَاتِ^٦

^١ المصلوب توقد حوله النيران حتى يتأكدوا من بقاءه في ساحة الإعدام. يقلب الشاعر بخياله مجددا المشهد فيقول: هذه النيران هي التي كان يوقدها لإكرام ضيوفه، فظلت مستمرة.

^٢ المطية: هي الدابة التي يُركب عليها. هنا يستعير الشاعر وصف ركوب المطية ويطلقه على صعود جذع الصلب. ويخاطب ابن بقية فيقول أنه سلك طريقا ودرجا قد سلكه زيد من قبله. وزيد المذكور في البيت هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد لاقى مصير الصلب على أيام هشام بن عبد الملك إثر مطالبته بالخلافة.

^٣ تأس: التأسي هو الاقتداء، قال الله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة. يقول الشاعر لابن بقية أنك لست أول مصلوب ولا يستطيع أن يعيب ذلك عليك أحد ولا أن ينتقصك بسببه فقد صلب الصالحون من قبلك وهم قدوة لك في هذا المصير.

^٤ جعل الشاعر عملية الصلب عناقا. والمرثي جامعا للمكرمات فحين صلب هذا الرجل على ذلك الجذع فقد تشرف الجذع باعتناقه للمكارم. انظر كيف جعل الجذع يتشرف بأن صلب عليه ابن بقية!

^٥ النوائب: هي المصائب وحوادث الزمان. استثارت: طلبت الثأر وأصلها استثارت فحُفَّتْ الهمزة. كان ابن بقية مشهورا بالكرم والجود وإسعاف المنكوبين وإغاثة كل محتاج ضاقت عليه الأيام. فكأنه أساء إلى المصائب بإنقاذ من وقعوا بها، فعادت تلك المصائب تبغي الثأر منه لتسلطه عليها، فأردته قتيلا. قد مات ابن بقية ميتة شنيعة تحت أقدام الفيلة، وأبصر الشاعر هذه المفارقة بين السمعة الحسنة لابن بقية في حياته وبين الخاتمة الشنيعة هذه فحاول أن يجد تبريرا للنكبة التي حلت بابن بقية، فبررها بشكل جميل وصورة بهية في هذا البيت والبيت الذي يليه.

^٦ صرف الدهر: ويقال كذلك صروف الدهر وهي تصرفاته وتقلباته من حال إلى حال وغالبا يقصد بها التقلب من رخاء إلى شدة وحدث المصائب والنكبات. الثرات: هي جمع ترة وتعني القتل الذي يكون أخذا لثأر وتقول العرب واثروا وموتور فالواتر هو الذي قتل شخصا أخذا بثأر لنفسه والموتور هو الذي قتل له شخص ثأرا من غيره عليه. يقول الشاعر أن ابن بقية كان ملجأ من المصائب فعادت المصائب فعاقبته على ذلك وأخذت تطلب ثأرها منه.

- ١٤ وصيّر دهرُك الإحسان فيه
١٥ وكُنْتَ لمعشرٍ سعدًا فلمّا
١٦ غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي
١٧ ولو أنّي قدّرتُ على قيامٍ
١٨ ملأتُ الأرضَ من نَظْمِ القوافي
١٩ ولكِنِّي أَصَبُّ عَنْكَ نفسي
٢٠ ومالكُ تُرْبَةٌ فأقولُ تُسْقَى
٢١ عليك تحيةُ الرَّحْمَنِ تَترى
- إِلينا من عظيم السيئات^١
مضيتَ تفرقوا بالمُنْجِسَاتِ^٢
يَخْفَفُ بالدموعِ الجارياتِ^٣
بفرضك والحقوقِ الواجباتِ
ونُحِتُ بها خِلافُ النَّائِحَاتِ^٤
مَخَافَةً أَنْ أَعَدَّ مِنَ الجُنَاةِ^٥
لأنك نَصَبُ هَطْلٍ الهاطلاتِ^٦
بِرَحِمَاتٍ غَوَادٍ رائِحَاتِ^٧

^١ يقول أن عقاب الدهر لابن بقية بهذا الشكل هو بسبب أنه يعتبر إحسانه إلى المنكوبين سيئة عظيمة يُستحق عليها العقاب. وقد يكون في البيت نسبة ما لا يجوز نسبته إلى الدهر.

^٢ المعشر: الجماعة من الناس. وردت في الحديث النبوي: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ). يقول أن حياته كانت سعادة لجماعات من الناس فلما مات انقلبتهم سعادتهم تعاسة ونحسا.

^٣ الغليل: أصله تلك الحرارة التي يشعر بها الظمان وثم أُطلق لاحقا على الحُرقة بسبب الحزن أو الغيظ أو الحب. وشفى غليله أي: فعل ما يُذهبُ غيظه. يقول الشاعر أنه يخفف حرقته وحزنه على موت ابن بقية بالبكاء والدموع التي تجري على خديه.

^٤ يقول الشاعر في البيت هذا والذي سبقه: لو أنني أردت توفيتك حقوقك علينا يا ابن بقية لملأت الدنيا بمراثيك. وخلافًا للنائحات الذين ينحن على الميت بالبكاء والصراخ سأنوح عليك بتأليف المراثي الكثيرة.

^٥ يكشف الشاعر أن الذي منعه عن ملأ الدنيا بمراثي ابن بقية هو خوفه من المحاسبة من عضد الدولة وتجريمه على ذلك. ولعمري لقد وفي الشاعر في هذه القصيدة حق ابن بقية وزيادة فقد كانت الحقة التي عاش فيها ابن بقية حقة ضعف الدولة العباسية وقد نسي الناس خلفاء تلك الفترة فضلا عن وزرائهم ولولا هذه المراثية ل بقي ابن بقية في سجلات النسيان مع زملائه من نفس العصر.

^٦ من عادات العرب أنهم يدعون الله أن يسقي قبور أحبائهم وربما سقوها بأنفسهم. يقول الشاعر: وأنا هنا لا أدعوك به وأنت مصلوب في السماء، لأنك في واجهة المطر وأقرب إليه من الأرض، فهو يقع أول ما يقع عليك، ثم دعى له بالرحمة

^٧ تترى: تتوالى الواحدة تلو الأخرى. الغوادي: التي تذهب في أول النهار. الرائحات: التي تذهب في وقت الزّواح وهو آخر النهار. المعنى الإجمالي: توالى عليك تحية الرحمن مع رحمت تتعاقب عليك في الصباح وفي المساء

للاستماع



لو كنت من مازن

توطئة عن الشاعر والقصيدة:

هذه أول قطعة من باب الحماسة من ديوان الحماسة لأبي تمام والحماسة والتحمس: هي الشدة والتشدد وجماع معاني قطع هذا الباب دائرة على معنى التشدد والتصبر والحماسة والقوة والحرب والجلد. وشاعرها رجل غير معروف من بلعبر وبلعبر بطن من تميم وهذا الشاعر العنبري أخذت إبله فاستنجد بقومه فلم ينصروه فاستنجد ببني مازن - وبني مازن بطن آخر من تميم - فأجده بنو مازن فأثنى على بني مازن في هذه الأبيات وعرض بقومه.

قال أحد شعراء بلعبر:

(بحر البسيط)

- | | | |
|---|-------------------------------|--|
| ١ | لو كنت من مازن لم تستخ إيلي | بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان ^١ |
| ٢ | إذن لقام بنصري معشر خشن | عند الحفيظة إن ذو لؤثة لانا ^٢ |
| ٣ | قوم إذا الشر أبدى نأجديه لهم | قاموا إليه زرافات ووحدانا ^٣ |
| ٤ | لا يسألون أخاهم حين يندبهم | في التائبات على ما قال برهانا ^٤ |
| ٥ | لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب | ليسوا من الشر في شيء وإن |
| ٦ | يجزؤون من ظلم أهل الظلم مغفرة | ومن إساءة أهل السوء إحسانا |

^١ الاستباحة: أخذ الشيء وكأنه مباح له. يقول: لو كنت من بني مازن لما استطاعت ذهل بن شيبان أن تسرق إيلي وكأنها لها، ولما تجرأ أحد على الإغارة على نوقي.

^٢ خشن: أشداء، الحفيظة: ما يثير النفس ويبعث غيظها، يقول: فلو كنت من بني مازن وحاول أحد استباحة إيلي لانطلق بنو مازن لنصري، وشدوا بخيلهم ورجلهم وسلاحهم من أزري، فهم قوم يغضبون إن انتهكت حرمتهم، ويغتazon إذا وطئ حماهم، أشداء في اللقاء حين يلين الضعيف وشجعان في الحرب إذا فر الجبان.

^٣ زرافات ووحدانا: جماعات وأفراد، يقول واصفا بني مازن: وهم لشدة بأسهم سباقون إلى ساحة الحرب، فكأن الشر يفتح فاه لهم حتى تبدو أضراسه وهم يستبقونه جماعات وفرادى لا يلوون على شيء لشجاعته.

^٤ الندب: الدعوة إلى فعل الشيء. فبنو مازن يبادرون إلى إغاثة الملهوف، ويسارعون إلى إجابة الصارخ، دون أن يسألوه عن كيفية ما حصل، ولا يطلبون منه بينة تؤكد دعواه، فإن التعلل وكثرة السؤال قبل الحرب صفة الجبناء.

^٥ الهين: القليل أو اليسير، قال تعالى: {وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم}، أي: يسيرا، يقول الشاعر: أما قومي فهم وإن كانوا كثيري العدد إلا أنهم يؤثرون السلامة ولا يتعرضون للشر وإن كان قليلا يسيرا.

- ٧ كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ
سَوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا^١
- ٨ فليت لي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا
شَدُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا^٢

^١ يقول متحدثًا عن قومه: ويتعذرون بابتغائهم للأجر والثواب من العفو والصفح وترك الانتقام، كأن الله لم يخلق لخوفه وطاعته غيرهم! وليس هذا الأولى بهم، بل الأولى أن يكونوا كبنِي مازن حتى يُعرفوا بالبأس والنصرة؛ فلا يقرب جنابهم أحد، ويهاجم كل غاز ومغير.

^٢ بهم: الضمير عائد إلى قومه الذين يذمهم، وتقدير الكلام: ليتني أبادل غير قومي بقومي، وباء المعاوضة تكون مع الذهاب، قال تعالى: {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} يقول الشاعر: يا ليتني أبادل قوما سراعا إلى المعركة على خيلهم وأقدامهم بقومي الذين لا ناقة لهم في الحروب ولا جمل.

مراجع شروح القصائد

- ١- جمهرة أشعار العرب تحقيق محمد علي الهاشمي طبعة دار السلام
- ٢- ديوان البحري تحقيق حسن كامل الصيرفي طبعة دار المعارف
- ٢- ديوان قيس بن الخطيم تحقيق ناصر الدين الأسد
- ٣- ديوان علي بن الجهم تحقيق خليل مردم بك
- ٤- كتاب تجدد الشعر لعارف حجاوي
- ٥- كتاب الإناسة بشرح ألفية الحماسة لعثمان العمودي
- ٦- مقالة "علو في الممات قصيدة الأنباري" بقلم فاروق مواسي
- ٧- مقالة "أبيات أبي الحسن الأنباري في رثاء أبي طاهر بن بقية" بقلم محمد شريف سليم



وحوش الشعر

جميع الحقوق محفوظة

ربيع الأول ١٤٤٦هـ